هل ـ بلى مسألتان في الاستفهام تحتاجان إلى فتوى لغوية معاصرة!

أ. د. صالح بلعيد.

المقدمة : لا أخفي على القارئ بأنّ **(هل) و (بلى)** شكّلتا لي مسألة لغوية كبيرة منذ سماعي الكثير والمتكرّر الخلط في الإجابة عن الاستفهام بـ **(هل)** بصيغة التعيين، وهي تأتي للتصديق بصيغة: **(نعم) أو (لا)** عكس ما ينطبق على (الهمزة) التي تقبل **التعيين والتصديق**. كما نجد في أسلوب الاستفهام الإنكاري الإجابة المؤكّدة **بنعم** بدل **بلى**، وهذا عكس ما تعلّمناه من شيوخنا، وما درسناه في كتب النّحو بأنّ الإيجاب للاستفهام الإنكاري يكون **ببلى**، وأنّ النفي يكون **بنعم**؛ حيث تقوم **(نعم)** في هذا الموقع مقام **(لا)** النافية. وإثر الخلط والتعاكس الذي أسمعه على أفواه بعض الخاصة، بَلْهَ العامة، أصبحت **(هل)** و **(بلى)** من المسائل التي تحتاج إلى بيان حقيقتهما اللغوية، وكيف يجب التعامل معهما في

* ـ وقع تركيزي على الاستفهام الإنكاري حالة توظيفه لأداتين من أدوات الاستفهام هما: ألَم/ أليس. واستبعدت غيرهما.

أسلوب الاستفهام، وهل يمكن أن تنطبق شروط **(الهمزة)** على **(هل)**؟ وكذلك هل يمكن أن تحلّ **(بلى)** محلّ **(نعم)**؟

وهكذا يتعيّن في هذا الموقع البحث عن أدوات الاستفهام، وأدوات الجواب، لما لها من أهمية في الفروق اللغوية، وما هي المواقع السياقية التي تستعمل فيها كلّ أداة من هذه الأدوات. وبذا رصدت كلّ الشواهد ذات العلاقة بالاستفهام الإنكاري(الموظّف فيه **(ألم)** وظهور الإجابة بـ **(بلى)** فقط، من ثلاثة مصادر هي: القرآن الكريم+ شرح أبيات سيبويه للسيرافي+ وشواهد المغني للسيوطي، وشكّلوا لي مدوّنة اعتمدتها في التحليل. واستبعدت البحث عن شواهد (الهمزة) و(هل) لكثرتهما، ولكنّي تحدثت في الفرق بينهما نظراً للتداخل الذي يحصل أحياناً.

وتستدعي المنهجية العلمية التعرّض للمعنى الذي يفيده أسلوب الاستفهام. فلغةً: **استفهَمَ** طلب معرفة شيء لم يكن معروفاً من قبل، والخلوص إلى الجواب ليس شرطاً، أو طلب الفهم بالأدوات المخصوصة.ومجاله الإرادة، وعناصره المقامية المتكلم والمخاطب، وحال كلّ منهما للجواب. فالمتكلم يجهل ما يسأل عنه أو لا يعرف تعيينه، ويفترض أنّ المخاطب إليه عالماً بما يسأل عنه أو غير عالم. كما أنّ هناك استفهام ظاهري ينجز عن طريق أدوات مجالها الحروف / الأسماء، وهناك استفهام إضماري مظهراً أو مقدماً أو مؤخراً؛ لأنّ فيها معنى التحضيض مثلاً: هلا/ لولا/ لوما/ ألا.

واصطلاحاً: أسلوب يُؤتى به في صياغة طلب معرفة الشيء أو حاله أو

نوعه أو عدده، أو صفته. فهو خبر يجئ لمعنى يقتضيه حال المستفهم السائل أي أنّ الخبر ناتج عن استفهام «فالخبر والاستفهام زوج ملازم أحدهما للآخر بعبارة جيرو [1] (Une paire adjacentes) وسبق أن قال الزركشي بأنّ الاستخبار هو الاستفهام؛ باعتبار الاستخبار؛ هو طلب خبر ما ليس عندك، وهو بمعنى الاستفهام؛ أي طلب الفهم. ومنهم من فرّق بينهما بأنّ الاستخبار ما سبق أولاً، ولم يفهم حقّ الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاما[2]. وعند البلاغيين: «من أنواع الإنشاء الطلبي؛ وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، فالاستفهام إما أن يكون عن نسبة كقولك: هل يصدأ الذهب؟ وفي هذه الحال تنفي نسبة الصدأ عن الذهب أو تثبت بـ **(لا)** أو **(نعم)** بالنسبة للسائل، لأنّه متردّد بين ثبوت الصدأ للذهب ونفيه عنه، ويسمّى إدراك النسبة ومعرفتها تصديقاً، وإما أن يكون الاستفهام عن أحد شيئين أو أكثر، نحو: أفاز بالجائزة عبد الله أم إبراهيم؟ فهنا لا نطلب معرفة النسبة، والمستفهم يعرف أنّ الفوز واقع حتماً بالنسبة لواحد من المستفهِم والمستفهَم عنه، وينتظر من المسؤول أن يعيّن المفرد الفائز، وتسمى معرفة المفرد تصوّراً[3]» ويمكن أن يخرج

---

1 ـ ع/ خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التّركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية. تونس: 2001, منشورات كلية الآداب بجامعة منوبة + المؤسّسة العربية للتوزيع، ص 113.

2 ـ الإمام بدر الدين بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دت منشورات المكتبة العصرية، ج2, ص 326.

3 ـ محمد سعيد إسبر + بلا جنيدي، معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ط1. بيروت: 1981, دار العودة ص 94ـ95.

الاستفهام إلى معانٍ أُخَر تُفهم من سياق الكلام، ونشير إلى بعض هذه المعاني:

* **الاستفهام الإنكاري:** وهو ما يسأل به عن شيء غير واقع، ولا يمكن أن يقع، كما أنّ قائله من الكاذبين ويتضمّن معنى النفي؛ باعتبار أداة النفي فيه بمنزلة أداة النفي من حيث المعنى، وقد أخذ تسميات أخرى من مثل: الاستفهام الإبطالي / التحذير / الوعيد... ولا بأس من التمثيل لكلّ واحد منها:

* **الاستفهام الإبطالي:** هو استفهام إنكاري؛ يتضمّن النفي، مثل قوله تعالى ﴿ **أفأصفاكم ربّكم بالبنين واتّخذ من الملائكة إناثاً** ﴾ الإسراء 40. أي خصّكم ربّكم بالذكور، وخصّ نفسه بالبنات. ويرى الزمخشري في هذه الآية بأنّ الخطاب موجّه للذين قالوا الملائكة بنات، **والهمزة للإنكار**، يعني أفخصّكم ربّكم على وجه الخصوص بأفضل الأولاد؛ وهم البنون لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، واتّخذ دونهم وهي البنات، وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم؛ فإنّ العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردؤها وأدونها للسادات. وعلى العموم فإنّه يفيد أنّ ما بعد الهمزة غير واقع (باطل) وأنّ مدّعيه كاذب.

* **استفهام التحذير/ الوعيد:** استفهام إنكاري ومن شواهده قوله تعالى ﴿ **ألم نهلك الأولين** ﴾ المرسلات 16. هنا تحذير ووعد وتذكير بأنّ العذاب يمكن أن يقع كما وقع على من سبقوكم.

* **استفهام الافتخار:** وهو من الاستفهام الإنكاري، ومن شواهده قوله تعالى ﴿**ونادى فرعون في قومه قال يا قومي أليس لي مُلك مِصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون**﴾ الزخرف 51؛ حيث استفهم فرعون عن مُلك مصر على سبيل الإثبات مع الافتخار والاستعلاء، وهو استفهام تقريري؛ ويُراد منه طلب الاعتراف بوقوعه، وهذا معنى التقرير. أي حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عندك ثبوته نحو: أضربتَ أخاك؟ ونحو قوله تعالى ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ الشرح 1. ويرى الزمخشري[4] في هذه الآية أنّه استفهم عند انتفاء الشرح على وجه الإنكار؛ فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فكأنّه قيل: شرحنا لك صدرك، ومثل ذلك أن تقول: ألم أحذرك من الكهرباء. ومثله قول جرير في بيته الافتخاري المشهور:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

ويرى أحمد الهاشمي في البيت المذكور بأنّه أسلوب استفهامي يُراد به التقرير؛ لأنّ المقام للمدح وذلك أبلغ فيه، ولو أنّ الشاعر قال في مدحه (أنتم خير من ركب المطايا) لكان قوله (خبراً) يحتمل الصدق والكذب ولكنّه إذا وضعه في صورة الاستفهام لم يجعله خبراً يشكّ فيه، بل جعله حقيقة لا يجهلها أحد، ولا ينكرها إذا سئل عنها[5].

---

4 ـ تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، تحقيق وتعليق : محمد مرسي عامر، ط2. القاهرة: 1977, دار المصحف.

5 ـ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: 1978, دار الفكر، ص 96.

* **استفهام العتاب:** استفهام تنكير، ذكره السيوطي ومثّل له بالآية الكريمة ﴿ **ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحقّ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ الحديد 16 ، ففي هذه الآية استفهام عتاب موجّه للصحابة عندما أكثروا المزاح. وبعضهم يسميه الإنكار التوبيخي: فتقضي أنّ ما بعدها واقع، وأنّ فاعله ملوم عليه، ومثله كذلك ﴿ **أتعبدون ما تنحتون** ﴾ الصافات 95. كما أدرجه بعض الباحثين في استفهام الإبطاء. فعن ابن عباس رضي الله عنه أنّ الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن.

* **استفهام التهكّم:** استفهام تنكير، ومن شواهده قوله تعالى ﴿ **قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا** ﴾ هود 87. حيث كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات، وكان قومه إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا تهكّماً منه.

* **استفهام التعجّب:** استفهام تنكير، ومن شواهده قوله تعالى (ألم ترَ إلى ربّك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلاً) الفرقان 45. والمعنى: ألم تنظر إلى صنع ربّك وقدرته! ومعنى مدّ الظل أن جعله يمتدّ وينبسط فينتفع به الناس، ولو شاء لجعله غير منبسط لا ينتفع به الناس. وهذا كلّه في أسلوب التنبيه والتعجّب؛ يُراد منه بيان قدرة الله، والدعوة إلى استعمال الفكر في هذه الأمور.

ونخلص إلى نقطتين هما:

أولاً: إنّ العرض والتمنّي والتحضيض والتحقير والطلب... أعمال من الاستفهام، فهي معان غير واجبة مولّدة من الاستفهام، ولكنّها تختلف عن محض الاستفهام؛ إذ تكون أدواتها مركبّة من حروف الاستفهام والنفي، وتحمل معنى اللّين والرفق واللّطف من دون قوّة الأمر المباشرة. وللاستفهام معنى حقيقي وواضح هو طلب معرفة شيء، أو خصيصة من خصائصه.

ثانياً: نرى في الاستفهام الإنكاري المعنى واقعاً على ما بعد أداة الاستفهام المنفية؛ حيث تؤكّد الأداة وتتحقّق بارتباطها بالنفي المقصود منه التثبّت والتأكيد، كقوله تعالى ﴿**فهل يهلك إلا القوم الفاسقون**﴾ الأحقاف 35. فالاستفهام المتصدّر للجملة لَحِقَه النفي، وعند ذلك خرج من صيغة الاستفهام الحقيقي إلى نكران، بغية التحقيق أو التذكير. وهذه هي الصيغة التي يتنزّل فيها أسلوب الاستفهام الإنكاري، ويتحدّد عند ذلك المعنى حسب الدلالة التي يفيدها من ارتباطه بما يلحقه من مفردات. أي أنّ الاستفهام قد يخرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى يفيدها من خلالها السياق الذي يرد فيه. فللاستفهام الإنكاري أسلوب يلتزمه من خلال ضمائم لغوية يوظّفها في نمطه.

إنّ أسلوب الاستفهام له حرفان وتسعة أسماء، فأما حرفاه، فهما:

- **الهمزة:** باب الاستفهام لأنّها أكثر دوراناً، ويستفهم بها في **التعيين**

والتصديق، نحو: أعمر دخل أم سعيد؟ **فالتعيين** هو إدراك المفرد؛ كأن تقول: أسعيد مسافر أم خالد؟ تعتقد أنّ السفر حصل من أحدهما ولكن تطلب تعيينه، ويُجاب بالتعيين: سعيد/ خالد. **وأما التصديق** هو «إدراك وقوع نسبة تامة بين المسند والمسند إليه ـ أو عدم وقوعها؛ بحيث يكون المتكلم خالي الذهن مما استُفهم عنه في جملته مصدقاً للجواب ـ إثباتاً **بنعم** ـ أو نفياً **بلا**[6]». وبذا نعلم أنّ الهمزة تستفهم عن ثبوت النسبة كأن تقول: أحضر الرئيس؟ فنستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها، وفي هذه الحالة يجاب بـ نعم/لا. وهي (الهمزة) حرف مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب، وإذا دخلت على نفي أفادت التحقيق: ألم تفهم الدرس؟ ويرى النّحاة بأنّ الهمزة تنفرد ببعض الخصائص التي لا توجد في غيرها من أدوات الاستفهام، من مثل:

* تصدّرها الكلام، ولا يجوز أن يتقدّمها شيء، علماً بأنّ أدوات الاستفهام الأخرى تقدّمتها أشياء: ﴿**عمّ يتساءلون**﴾ ﴿**فكيف تتّقون إن كفرتم يوما**﴾ ﴿**فهل يهلك إلا القوم الفاسقون**﴾. كما أنّ أم تتصدّر بعض أدوات الاستفهام من مثل: أم هل ترى غير هذا؟/ أم مَن يرفعك للمقام الأعلى؟/ إنّ هل ليست بمعنى الألف. وهذا ما لا يحصل بالنسبة للهمزة.

* اختصاصها بالدخول على حروف النفي مثل: لا= ألا. ما= أما. لم= ألم، وكذلك على الواو= أوَ في قوله تعالى (أوَ كلّما عاهدوا **عهداً**

6 ـ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 87.

نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) البقرة 100. وعلى الفاء ﴿ **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون** ﴾ الأعراف 97/ ﴿ **أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ النحل 45. وعلى ثمّ ﴿ **أثمّ إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون** ﴾ يونس 51.

* دخولها الكثير على (رأيت). و(رأى) هنا هي القلبية ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا** ﴾ مريم 77. ﴿ **أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى** ﴾ الماعون 2. ﴿ **أرأيت الذي يكذّب بالدين** ﴾ العلق 9. كما تدخل على (رأى) البَصَرية: أرأيت محمداً البارحة في السوق؟ والفرق بين القلبية والبصرية، نجده في جواب رأى القلبية الذي قد لا يأتي لأنّه يصاغ للوعظ، أو التنبيه أو التعجّب أو التحذير... وأما رأى البصرية فإنّه يطلب التعيين / التصديق: نعم، رأيته / لا، ما رأيته.

* حذفها في النصّ الاستفهامي: وهذا ما ذكره ابن هشام[7] عندما احتجّ بمجموعة من الشواهد التي حذفت فيها، ومن أمثلة الحذف في الأبيات الشعرية التي احتجّ بها ابن هشام قول عمر بن أبي ربيعة:

فوا الله ما أدري، وإن كنت دارياً بسبعٍ رمين الجمر أم بثمانٍ؟

والهمزة المحذوفة هنا في بداية كلمة (سبع) والمقصود (أبسبع) على اعتبار أنّها متقدّمة على (أم) وكونه لم يشر إلى القرائن الخطية أو اللفظية

---

7 ـ جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك + محمد علي حمد الله. بيروت: 1979, دار الفكر، ص 19ـ20.

التي عملت على حذف الهمزة، فنرى بأنّ (الهمزة) حذفت بفعل تضافر القرائن كما يقول تمام حسان، وهذا ما تبرزها النغمة التي تعيّن لنا نوع المحذوف، فالمحذوف هنا ليس معجمياً، بل هو دليل لفظي يلمس من خلال القرائن التي جُمعت البيت. وهذا لا يتوفّر إلا في (الهمزة) رغم التشابه الملموس بينها وبين (هل) في اشتراكهما في الاستفهام عن التصديق «إذا ما أخذنا في الحسبان اشتراك (الألف) و (هل) في الاستفهام عن التصديق= النسبة، جاز لنا القول بجواز حذف أي من الأداتين إذا دلّت على وجودها قرينة (التنغيم) أو أيّة قرينة أخرى مناسبة حين لا يكون التركيب منطوقاً... إنّ الحكم بجواز الحذف في (الألف) يصدق في (هل) من حيث كان كلّ من الأداتين يُستفهم به عن النسبة. ومن قِبَل أنّ النغمة في بنية الاستفهام بأيّ منهما تكون صاعدة ظهرت الأداة أو حذفت. أما سائر أدوات الاستفهام فلا يحسن حذفها لأنّه يفوّت به (أي) بالحذف ما يستفهم عنه بها، ولأنّ التنغيم عند الاستفهام بها ليست صفته مقصورة على التراكيب التي تتضمّن تلك الأدوات[8]» .

- **هل:** حرف استفهام مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب، يدخل على الجملة الاسمية والفعلية وهذا للاستفهام عن العلاقة بين جزأيها: هل سافر محمد؟ ويكون الجواب: نعم/ لا. هل محمد سافر؟

---

8 ـ فيصل إبراهيم صفا «تأمّلات في اختصاص (ألف) الاستفهام بالحذف» مجلة حوليات الجامعة التونسية. تونس: 1996 العدد 40, ص 29ـ41.

ويأتي الجواب بـ نعم/ لا، ولكنّه يقبح أن يلحقها اسم. أما هل زيداً عرفت؟ فهو صواب لأنّه في أسلوب الاشتغال. والاستفهام في الأصل لا يتمّ إلا بالفعل؛ وهذه الخصيصة يعلّلها سيبويه على اعتبار أن الاستفهام مثل الأمر والأمر لا يكون بغير الفعل[9] إلا أنّ النّحاة توسّعوا فيها فأجازوا لبعضها أن تبتدئ بالاسم، فأجاز المجمعيون دخول هل على اسم بعده فعل استناداً إلى فعل القدامى «يجري على أقلام الكتّاب مثل هذا التعبير: هل الكذوبُ يُصدّقُ؟ بدخول (هل) على اسم مخبر عنه بجملة فعلية. وجمهور النّحاة على أنّ ذلك جائز في ضرورة الشعر. على أنه جاء في الهمع تجويز الكسائي دخول (هل) على الاسم الذي يليه فعل في الاختيار ولا مانع من إجازة ذلك التعبير[10] » وأما جوابها فيكون للتصديق سواء جاءت بعدها (أو) مكرّرة أو غير مكرّرة، أم لم تجيء: هل سافر خالد؟ نعم/ لا. هل سافر خالد أو زهير؟ الجواب: نعم/ لا. هل سافر خالد أو زهير أو محمد؟ الجواب: نعم/ لا. وإذا جاءت بعدها (أو) لا يحصل التعيين كقولك: هل حضر سعيد أو محمد؟ الجواب: نعم/ لا، فلا يقال: سعيد/ محمد؛ لأنّ (هل) لا تأتي للتعيين بل يُؤتى بها للاستفهام عن العلاقة بين ركني الجملة، فتكون إجابتها: نعم/ لا. أما التعيين فيكون السؤال: بـ (الهمزة) أجاء سعيد أم محمد؟ فتقول: سعيد/ محمد. كما لا تدخل (هل) على (إنّ) فلا يُقال: هل إنّك قادم؟

9 ـ سيبويه، الكتاب، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، ط3. القاهرة: 1988, ج1, ص 99.

10 ـ مجمع اللغة العربية، الألفاظ والأساليب، إعداد: محمد شوقي أمين. القاهرة: 1977, الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ص 48.

ولا تدخل على شرط، فلا يُقال: هل إنْ نكرمْك تكرمنا، ولا على نفي، فلا يُقال: هل لم يذهب خالد؟ ولا على حروف العطف، ولا على اسم بعده، ولا على المضارع الدّال على الحال، وهذا عكس (الهمزة) التي تقبل كلّ المذكور. وعند بعض النّحاة تشترك (لعلّ) في حروف الاستفهام نحو قوله تعالى ﴿وما يدريك لعلّه يزّكى﴾ عبس 3. فلعلّ هنا خرجت من معنى الترجّي إلى إفادة الاستفهام من خلال الربط المعنوي الذي أفادته من خلال السياق.

ومع هذا فإنّ (هل) أمكنُ في الدلالة على الاستفهام؛ لأنّها ليست بديلاً للهمزة، فهي حرف وضع لمحض الاستفهام، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فهي تماثل الهمزة في بعض الأمور، والفرق بينهما في كون الاستفهام بـ ((هل) لا يكون تقريراً أو توبيخاً، ويفرق بينهما سيبويه بقوله «إنّ هل ليست بمنزلة ألف الاستفهام؛ لأنّك إذا قلت: هل تضرب زيداً؟ فلا يكون أن تدّعي أنّ الضرب واقع. وقد تقول: أتضرب زيداً؟ وأنت تدّعي أنّ الضرب واقع، ومما يدلّك على أنّ ألف الاستفهام ليست بمنزلة هل أنّك تقول للرجل: أَطَرَباً وأنت تعلم أنّه قد طَرَب، لتوبّخه وتقرّره، ولا تقول هذا بعد هل[11] » أي بل يقلب: هل تطرب؟ لأنّ العبارة هنا تتضمّن معنى الطرب في المستقبل، فلما يحصل الطرب بعد، عكس: أتطرب؟ يمكن أن تدلّ على واقع قد أُنجز، كما يجوز أن تدلّ على شيء لمّا ينجز بعد، وهذا حسب السياق الكلامي الذي ترد فيه.

11 ـ سيبويه، الكتاب، ج3، ص 175ـ176.

ونبقى في **(هل)** لنؤكّد بأنّه يؤتى بها للتصديق فقط؛ أي معرفة نوع النسبة، أو عدم وقوعه لا غير، نحو: هل حافظ الإسلاميون على أفكارهم؟ ولهذا امتنع أن يُقال: هل حافظ الإسلاميون على أفكارهم أم تجاوزوها؟ ولأجل اختصاص **(هل)** بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد **(أم)** فهي تأتي لطلب الحكم؛ لأنّ الحكم فيها غير معلوم، وإلا لم يستفهم عنه بها، وحينئذ يؤدّي الجمع بين (هل) و (أم) إلى التعارض. ويؤكّد هذا الأمر السكاكي في قوله «لاختصاصه بالتصديق امتنع أن يقال: هل عندك عمرو أم بشر؟ باتّصال: أم، دون: أم عندك بشر؟ بانقطاعها، وقبح: هل رجل عرف؟ وهل زيد عرفت؟ دون هل زيداً عرفت؟ ولم يقبح: أرجل عرف؟ وأزيداً عرفت؟»[12] كما يجب أن نعرف بأنّ **(هل)** تُخصّص الفعل المضارع بالاستقبال، فلا يصحّ أن يُقال: هل تضرب زيداً وهو أخوك؟ على نحو: أتضرب زيداً وهو أخوك؟ في أن يكون الضرب واقعاً في الحال. ويكون (هل) لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء، على أنّ الإثبات والنفي لا يتوجّهان إلى الذوات، وإنّما يتوجّهان إلى الصفات، كما أنّها أدعى للفعل من الهمزة، أضف إلى هذا أنّه يدخلها معنى التقرير والتوبيخ ما يدخل الهمزة التي يستفهم بها، كقوله تعالى ﴿**هل لكم مما ملكت إيمانكم من شركاء**﴾ الروم 28. أو تفيد معنى قد في مثل قوله تعالى ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر**﴾ (الإنس 1).

12 ـ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وشرح: نعيم زرزور، ط1. بيروت: 1983، دار الكتب العلمية، ص 308ـ309.

ونخلص إلى ما يلي:

1 ـ إنّ (الهمزة) حرف استفهامي يأتي للتصديق، كما يأتي للتعيين والتثبيت، وجوابه يقبل: نعم/ لا. كما يقبل التعيين: (فلان).

2 ـ تنفرد (الهمزة) بخصائص لا توجد في غيرها من أدوات الاستفهام.

3 ـ (هل) حرف استفهامي يأتي للتصديق، وجوابه التثبيت لا غير، فيكون بإحدى صيغ الجواب: نعم/ لا.

وأما **تسعة أسماء فهي: مَن/ ما/ متى/ أيّان/ أين/ أنّى/ كيف/ أيّ/ كم.** وقد تلحق بعض هذه الأسماء ضمائم إضافية تؤدّي دلالة الاستفهام مع زيادة معنوية، مثل: منذ متى/ منذ كم... فهي أدوات استفهامية يُراد منها التأكيد أو التحسّر أو التعجّب أو الشكّ... وبذا نراها تأتي لتأدية معانٍ وأغراض متعدّدة. كما تخرج هذه الأدوات عن الاستفهام الحقيقي إذا جاءت بعدها كلمات التسوية: ما أبالي/ ما أدري/ سيّان/ ليت شعري. وهكذا نجد إحدى عشرة أداة للاستفهام، يقسّمها النّحاة إلى ثلاثة أقسام:

* قسم أول يختصّ بطلب حصول التصوّر، فيسأل بها عن معناها، ويكون الجواب معها بتعيين المسؤول عنه: ما/ مَن/ أيّ/ كم/ أين/ كيف/ أنّى/ متى/ أيّان.

* قسم ثان يختصّ بطلب حصول التصديق: هل.

* قسم ثالث لا يختص، وهي الهمزة. فالهمزة لها معان بلاغية عديدة، فقد تفيد التصوّر/ التصديق/ التسوية.

وهذا توضيح موجز في معاني أسماء الاستفهام:

- من: للسؤال عن الجنس من ذوي العلم: من محمد؟

- ما: للسؤال عن غير العاقل: ما عندك؟ أي أجناس الأشياء عندك؟ وجوابه: سيّارة/ قلم/ جهاز. وتحذف ألفها غالباً بعد حرف جرّ، كقوله تعالى ﴿**قل يا أهل الكتاب لِمَ تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجًا وأنتم شهداء وما الله بغافل عمّا تعملون**﴾ آل (عمران 99) وبمعونة القرائن والسياق تتغيّر دلالة هاتين الكلمتين: ما هذا؟/ من هذا؟ فقد تحمل السؤال الذي يحمل معنى الاستخفاف أو التحقير...

- متى/ أيّان: للسؤال عن المكان/ الزمان.

- أين: للسؤال عن المكان.

- أنّى: تارة تعمل عمل كيف، وتارة تعمل عمل أين، وتارة تفيد ما تفيده أين.

- أيّ: تأتي لتمييز أحد المتشاركين في أمر يجمعهما، وهي اسم استفهام مُعْرَبة، تصلح لكثير من المعاني فقولك: أيُّ رجل؟ قد يفيد التعجّب، أو التحقير...

- كيف: للسؤال عن الحال، وقد تقع بمعنى التعجّب، وهذا في قوله تعالى ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ إليه ترجعون**﴾ البقرة 28.

- كم: للسؤال عن العدد، وقد تخرج إلى معنى الاستبطاء. كم تدعوني؟ أو الإنكار أو التعجّب: كم وعدتني ولم تفِ!...

وإنّ أسلوب الاستفهام في عمومه يتطلّب الجواب؛ وهو الردّ سواء بالقبول أو النفي، إلا جواب الطلب فجوابه متضمّن فيه؛ حيث السؤال يحمل الجواب، فقولك: اعمل تربح، فكلمة (تربح) جواب عن سؤال اعمل. يقول الزركشي: «إنّ الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال، إذا كان السؤال متوجّهاً، وقد يُعدّل في الجواب عمّا يقتضيه السؤال تنبيهاً على أنّه من حقّ السؤال أن يكون كذلك، ويسميه السكاكي الأسلوب الحكيم. وقد يجيء الجواب أعمّ من السؤال للحاجة إليه في السؤال وأغفله للمتكلّم، وقد يجيء أنقص لضرورة الحال. والأصل في الجواب أن يعاد فيه نفس سؤال السائل[13] » وتفادياً للتكرار أتوا عوض ذلك محذوف جواب اختصاراً وتركاً للتكرار. وأما ألفاظ القبول عادة هي التي يُؤتى بها للدلالة على جملة الجواب المحذوفة غالباً، سادة مسدّها اللفظان المتواتران: نعم/لا. ومن طريف الشعر الذي وظفت فيه علامتي الإيجاب والنفي في صوَر جميلة:

لا تقولن إذا ما لم تُردّ ... أن يتمّ الوعد في شيء (نعم)

حسن القول (نعم) من بعد (لا) ... وقبيح قول (لا) بعد (نعم)

إنّ (لا) بعد (نعم) فاحشة ... فبـ (لا) فابدأ إذا خِفتَ النّدم

فإذا قلت (نعم) فاصبر لها ... بنجاح القول إنّ الخلف عدم.

إنّ أكثر أدوات الجواب نجد **(نعم)** وفي معناها تستعمل المترادفات التالية: **أجل/ بلى/ جيْر/ جلَل/ إي/ لام الجواب/ كلا/ إنْ**، ولكلّ

13 ـ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص 42.

منها خصائص يتفرّد بها، إلا أنّ توظيفها في الأساليب القديمة قليل، بَلْهَ الحديث عن الأساليب المعاصرة. ومن خلال هذا الموقع يمكن ذكر ما تفيده كلّ أداة من هذه الأدوات باختصار:

- **نعم:** حرف جواب وتصديق وتوكيد، مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بمعنى الإيجاب أربع مرات (4)[14]. أو هو: جواب سؤال مقدّر، ويأتي بعد الكلام الموجب والكلام المنفي «فإذا سأل أحدهم: أقام زيد؟ بالإثبات، قلت: نعم، فإنّك تريد: نعم لم يقم زيد، فكأنّك صدّقت هذا النفي، لكن إذا أردت أنّه قام، فعليك أن تقول: بلى قام زيد[15] » ومن معانيه:

* التصديق للمخبر: إذا وقع بعد جملة خبرية: دخل الأستاذ؟ نعم دخل.

* الوعد للطلب: وذلك إذا وقع بعد الأمر أو النهي أو التحضيض، نحو: تابع محاضرتك، نعم. ويرى بعض النّحويين أن الإجابة بعد الطلب ب (أجل) أحسن منها بـ (نعم).

* الإعلام للمستخبر: وذلك إذا وقع بعد الاستفهام، نحو: هل فهمت؟ نعم.

* حرف التوكيد: إذا صُدِّر الكلام بها، نحو: نعم إنّك بطل.

- **أجل:** حرف جواب مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب

14- سورة الأنفال رقم 44- سورة الأعراف رقم 114- سورة الشعراء رقم 42- سورة الصافات رقم 18.

15 - شوقي المعري، إعراب الكلمات والتراكيب المشكلة في الأساليب العربية، ط2. دمشق: 2001, دار الحارث، ص 92.

بمعنى نعم، قليل الاستعمال. ويأتي جواباً للسائل؛ فإذا كان الكلام قبله منفياً أفاد النفي (إثبات النفي) نحو: ألم تجلس؟ أجل (أي لم أجلسْ) أي يأتي تصديقاً للمخبر وإعلاماً للمستخبر، ووعداً للطالب، نحو أجل، لمن قال لك عاونني. وأما قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل...**﴾ البقرة 282 ، فهو ليس حرف جواب، وكذا بقية آيات القرآن الكريم.

- **بلى:** حرف جواب، قلّ وروده في الشعر، وورد اثنين وعشرين (22) مرة في القرآن الكريم، و«يجاب به عن سؤال منفي، فيبطل نفيه، كنحو: أن تُسأل وقد نجحت أما نجحت؟ فتجيب: بلى والمعنى: بلى نجحت. ولو قلت: نعم لكان المعنى: نعم ما نجحت!! وذلك أنّ نعم لا تبطل النفي، بل تثبته فيظلّ المعنى منفياً[16]. » وهي غير بل: التي تفيد الإضراب. ومعناه حينئذ إبطال ما قبله، وإذا وليه مفرد كان حرف عطف ولم يسمع مقترناً مع حرف آخر إلا مع (لا) فإنّها تُزاد قبل بل لتوكيد الإضراب: وجدتكِ كالبدر لا بل كالشمس، أي لتدارك كلام غلطتَ فيه، فتقول: رأيت علياً بل محمداً «ويكون لترك شيء من الكلام وأخذٍ من غيره[17] » ولا أريد الاستفاضة في مسألة بلى حيث يأتي الحديث عنها مفصّلاً.

- **جيرِ/جيرَ:** حرف جواب بمعنى نعم، مبني على الكسر أو الفتح، لا

16 ـ يوسف الصيداوي، الكفاف، ط1. بيروت: 1999, دار الفكر المعاصر + دمشق: دار الفكر، ج1, ص 446.

17 ـ محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري، تأويل مشكل القرآن، شرح ونشر: أحمد صقر. بيروت: دت، المكتبة العلمية ص 536.

محلّ له من الإعراب، والشائع استعماله قبل القسم؛ حيث يؤدّي دلالة (والله) وهو قليل الاستعمال.

- **جَلْ** : تأتي حرف جواب بمعنى نعم، فيكون مبنياً على السكون لا محلّ له من الإعراب. وهو من الكلمات النوادر.

- **إي:** حرف جواب بمعنى نعم، قلّ استعماله، وورد في قوله تعالى ﴿**ويستنبئونك أحقّ هو قل إي وربّي إنّه لحقّ وما أنتم بمعجزين**﴾ (يونس 53) ونجده في هذه الآية بمعنى بلى، ولا يأتي إلا قبل اليمين صلة لها. وهذه الحرف كثير الاستعمال في التعابير اليومية.

- **لام الجواب:** وهي اللام التي تأتي بعد لـو/ لـولا، كقولـك: لو زرتَ لرأيت / لولا المصالحة لفشا الحقد.

- **كلا:** لها معاني كثيرة، وهي في أصلها حرف ردع وزجر، تكون اسماً للردّ كقوله تعالى ﴿**كلاّ سوف تعلمون**﴾ ﴿**ثمّ كلاّ سوف تعلمون التكاثر**﴾ 3, 4. كما تكون حرف جواب في قولك: هل دخل الأستاذ؟ كلاّ فهنا أفادت نفي الجواب، وهي حرف نفي مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب خلافاً لـ (إي) في الإثبات. ويقول عبد السلام هارون تأتي حرف جواب بمعنى نعم، وهو ما قاله النّضر بن شميل والفرّاء ومن وافقهما، وحملوا عليه قوله تعالى ﴿**كلاّ والقمر**﴾[18].

- **إنْ:** حرف جواب بمعنى (نعم) من شواهدها ما روي أنّ فضالة بن شوك قال لابن الزبير: لعن الله ناقةً حملتني إليك. فأجاب ابن الزبير:

18 ـ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النّحو العربي، ط2. القاهرة: 1979, مكتبة الخانجي بمصر، ص 161.

إنْ وراكبَها، بمعنى نعم وراكبها[19] وهي قليلة الاستعمال في معنى الجواب.

النفي: لغة، نفاه: بمعنى نحّاه وأبعده وأنكره. والإنكار: هو النفي قطعاً أو ظنّاً لما يظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص، ويستعمل بعض النّحاة **مصطلح الجحد؛** ويراد به النفي (ضد الإثبات) وهو الإخبار عن ترك الفعل، ولكنّه أخصّ من النفي، وحرفه هو (اللام) ويشترط في نصب المضارع بعدها أن تسبق بـ (ما كان/ لم يكن) نحو ﴿**فما كانَ اللهُ ليظلمَهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمونَ**﴾ (التوبة 70) واصطلاحاً: سلب الحكم عن شيء بأداة نافية مثل: ما/ لم/ وبالفعل مثل ليس، أو باسم مثل غير. وأما الحروف النافية فهي: **لا/ لم/ لمّا/ لن/ ما/ إنْ/ لات+ فعل ليس.** وأحياناً نستعمل بعض الكلمات التي تقوم مقام (لا) مثل: هذا صعب، إذا طُلب منك عملَ عملٍ لا تريد القيام به. أو تقول: ما بدا لي/ لا أتّفق... وكلّها توحي إلى **النفي** بطريقة غير مباشرة. وهذا توضيح موجز في حروف النفي:

- **لا:** تأتي بأوجه متعدّدة، والذي يهمّ موضوعنا لام النفي، وهو حرف يدخل على الفعل الماضي فيتكرّر وجوباً، نحو: لا صامَ ولا نامَ، وعلى الفعل المضارع فيجوز تكراره: سعيد لا يأكل ولا يشرب. وهنا نجدها حرفاً لا عمل لها مبنية على السكون، ولا محلّ لها من الإعراب.

19 ـ المعجم المفصّل في علوم اللغة (الألسنيات) محمد التونجي + راجي الأسمر، ط1. بيروت: 1993, دار الكتب العلمية ج1, ص 108.

كما تأتي بعد كون منفي؛ أي بعد ما كان أو لم يكن لتوكيده: ما كان محمد ليظلمَك (الجحود) وهذا كلّه يدخل في النفي المطلق؛ أي تنفي جميع الأفراد من غير حصر كمّي ولا عددي. وهناك **لا النافية للجنس،** وهي حرف يدخل على الجملة الاسمية، فيعمل فيها عمل (إنّ) وهي تفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها، أي نفياً عاماً على سبيل الاستغراق لا على سبيل الاحتمال، ويشترط في عملها:

* أن يكون اسمها وخبرها نكرتين.
* ألا يُفصل بينها وبين اسمها فاصل.
* ألا يدخل عليها حرف جرّ.

كما يدخل على هذه اللام الهمزة، وبذلك تصير أسلوباً إنشائياً، ويتغيّر معناها، كأن تقول: ألا أصارحَك بالقول / ألا تأتي معنا... وهناك **لا النافية العاملة عمل ليس،** وسميت عند بعض النّحويين بـ (لا الحجازية) وهو حرف يعمل عمل الأفعال الناقصة في نصب المبتدأ ورفع الخبر، وهذا ضمن شروط:

* ألا يتّصل بينها وبين اسمها فاصل إلا إذا كان هذا الفاصل ظرفاً أو جاراً ومجروراً معمولاً للخبر: لا عليكَ أحدٌ معتدياً.
* ألا ينتقض نفيها بـ (إلا) لأنّ النقض يجعل المعنى إثباتاً.
* ألا تتكرّر؛ لأنّ نفي النفي إثبات، وهي لا تعمل إلاّ في المنفي.
* ألاّ تزاد بعدها (إنْ).
* أن يكون اسمها وخبرها نكرتين.

- **لَمْ:** حرف نفي وجزم وقلب، مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب، ويجوز دخول همزة الاستفهام عليه فيفيد التقرير والتوبيخ ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ الانشراح 1. وقد ورد ذكر هذا الحرف في القرآن الكريم ثمانية وسبعين (87) مرة، بما فيها ألف لام ميم. كما أنّ لم / لمّا ينفيان الماضي ويختصّان بالدخول على المستقبل. ونجد أحياناً حرف (لمّا) يأتي بمعنى (لم) في قوله تعالى ﴿ **بل لمّا يذوقوا العذاب** ﴾ ص 8. أي بل لم يذوقوا العذاب.

- **لن:** حرف نفي واستقبال مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب، وينصب الفعل المضارع بعده.

- **ما:** النافية التي لا عمل لها، وهي حرف نفي مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب، ينفي الماضي / والحال: ما دخل الأستاذ (الماضي) ما دخل الأستاذ الآن. وهناك ما النافية العاملة عمل ليس والمسماة بما الحجازية، فهي حرف يرفع المبتدأ وينصب الخبر بشروط:

* ألا يتقدّم خبرها على اسمها.
* ألا يتقدّم معمول خبرها على اسمها.
* ألا تزاد بعدها إنْ.
* ألا ينتقض نفيها بـ (لا)
* ألا تتكرّر.

- **إن:** النافية التي تعمل عمل ليس، شرط عدم تقدّم خبرها على اسمها، وعدم انتقاض نفيها بإلا. كقول الشاعر:

إنِ المرء ميتاً بانقضاء حياتـه ولكن بأن يُبغى عليه فيُخذلا.

- **لات:** وهو حرف مشبه بليس، ويعمل عملها تحت هذه الشروط:

* ألا ينتقص نفيها بإلا.
* أن يكون اسمها وخبرها من أسماء الزمان.
* أن يكون أحد معموليها محذوفاً.
* أن يكون المذكور من معمولها نكرة. وتظهر هذه الشروط في قول الشاعر الذي أنشد:

لهفي عليك للهفةٍ من خائف يبغي جوارك حين لاتَ مجيرُ.

- **ليس:** فعل ماض ناقص تفيد النفي، وكثيراً ما تزاد عليها همزة الاستفهام ﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾ الزمر 36. وهنا تفيد النفي الإنكاري، وقد وردت ثلاث عشرة (13) مرة في القرآن الكريم بصيغة (أليس). ويقول عبد السلام هارون «وأمّا ليس فهي وإن لم يأتِ منها فعل الأمر أو النّهي أو الدعاء لعدم تصرّفها، قابلة أن تجيء في سياق الاستفهام، فيسري إليها ما فيه من معنى الإنشاء، لأنّ العلماء قد نصّوا على أنّ أداة الاستفهام إذا دخلت على جملة عمّ معنى الاستفهام الجملة بأسرها. وقد وقعت ليس بعد الاستفهام كثيراً. قال تعالى: ﴿**أليس الله بكاف عبده ويخوّفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد**﴾ الزمر 36 ﴿**وكذلك فتنّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين**﴾ الأنعام 53 ﴿**وجاء قومه يُهرعون إليه ومن قبل**

كانوا يعملون السيئات قال يا قومي هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد ﴾ هود 78 ﴿ **ومن يهدي الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام** ﴾[20] الزمر 37.

وبعد هذا التوضيح المختصر لأدوات الاستفهام وأدوات الجواب (الإيجاب / النفي) نعود لمسألة (بلى) فقد نصّت كتب الاختصاص على أنّه حرف **جواب** مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب، يوظّف بعد النفي إثباتاً، وأحياناً يقترن بالاستفهام مثل: أليس الله بكاف عبده، ويأتي الجواب إثباتاً **(بلى)** ونفياً **(نعم)** وفي تعريف آخر «حرف مرتجل، أي للجواب، أصْلِي الألف، وليس أصلها بل، وتختصّ بالنفي وتثبته، سواء كان مجرّداً نحو: زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل **بلى**، أو مقروناً بالاستفهام حقيقياً كان نحو: أليس زيد بقائم فيقال بلى، أو توبيخاً نحو: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه **بلى**، أو تقريرياً نحو: ألستُ بربّكم قالوا بلى أُجريَ النفي مع التقرير مجرى النفي المجرّد في ردّه **ببلى**، ولذلك قال ابن عباس وغيره لو قالوا نعم كفروا ووجهه أن نعم تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب [21]. ويؤكّد هذا الأمر صاحب معجم النّحو «حرف جواب وتختصّ بالنفي، وتفيد إبطاله، سواء أكان مجرّداً نحو:

---

20 ـ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النّحو العربي، ص 41. (أتممتُ الآيات لمعرفة مقام الشاهد من الآية) بتصرّف.

21 ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، همع الهوامع جمع الجوامع في علم العربية. بيروت: د.ت دار المعرفة للطباعة والنشر، ج2، ص 71ـ72.

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثنّ أم مقروناً بالاستفهام ـ حقيقياً كان، نحو أليس عليٌ بآت ـ أو توبيخاً نحو أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم **بلى**، أو تقريراً نحو ألست بربّكم قالوا بلى والفرق بين (بلى) و **(نعم)** أنّ **(بلى)** لا تأتي إلا بعد نفي، وأنّ **(نعم)** تأتي بعد النفي والإثبات، فإذا قيل: ما قام زيد فتصديقه نعم، وتكذيبه بلى[22]. وهكذا تتحدّد معالم (بلى) في أنّها لا تأتي إلا بعد نفي: **ألم / أليس**، وتكون جواباً للإثبات، وتعكس في هذه الحالة كلمة (نعم) التي تدلّ على النفي إن سبقت بنفي.

ويلخص ذلك الزركشي في قوله: إنّ بلى لها موضعان:

1 ـ أن تكون ردّاً لنفي يقع قبلها، كقوله تعالى ﴿**ما كنّا نعمل من سوء بلى إنّ الله عليم**﴾ النحل 28.

2 ـ أن تقع جواباً لاستفهام، دخل عليه نفي حقيقة، فيصير معناها التصديق لما قبلها: ألم أكن صديقك! ألم أحسن إليك! فتقول: **بلى** (أي كنتَ صديقي)[23]. وفي تفصيل آخر حول بلى سمّاه الكلام على (بلى) قال: وأما (بلى) فقد وردت في القرآن في اثنتين وعشرين موضعاً، في ستّ عشرة سورة، وهي على ثلاثة أقسام:

* **أحدهما:** ما يختار فيه كثير من القرّاء وأهل اللغة الوقف عليها؛ لأنّها جواب لما قبلها غير متعلّق بما بعدها؛ وذلك عشرة مواضع: موضعان

22 ـ عبد الغني الدقر، معجم النّحو، ط1ـ2، 1975ـ1982. دمشق: الشركة المتّحدة للتوزيع، ص 89.

23 ـ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص 261.

في البقرة ﴿ما لا تعلمون بلى من كسب سيّئة﴾ ﴿إن كنتم صادقين بلى﴾ وموضعان في آل عمران ﴿وهم يعلمون بلى من أوفى﴾ ﴿بلى إن تصبروا﴾ وموضع في الأعراف ﴿ألست بربّكم قالوا بلى﴾ وفي النحل ﴿ما كنّا نعمل من سوء بلى﴾ وفي يس ﴿أن يخلق مثلهم بلى﴾ وفي غافر ﴿رسلكم بالبيّنات قالوا بلى﴾ وفي الأحقاف ﴿على أن يحيي الموتى بلى﴾ وفي الانشقاق ﴿أن لن يحور بلى﴾. فهذه عشرة مواضع يختار الوقف عليها؛ لأنّها جواب لما قبلها، غير متعلّقة بما بعدها، وأجاز بعضهم الابتداء بها.

** **الثاني :** ما لا يجوز الوقف عليها، لتعلّق ما بعدها بها وبما قبلها، وذلك في سبعة مواضع: في الأنعام ﴿بلى وربّنا﴾ وفي النحل ﴿لا يبعث الله من يموت بلى﴾ وفي سبأ ﴿قل بلى وربي﴾ وفي الزمر ﴿من المحسنين بلى قد جاءتك﴾ وفي الأحقاف ﴿بلى وربّنا﴾ وفي التغابن ﴿قل بلى وربّي لتُبعثنّ﴾ وفي القيامة ﴿أن لن نجمع عظامه بلى﴾. وهذه لا خلاف في امتناع الوقف عليها، ولا يحسن الابتداء بها، لأنّها وما بعدها جواب.

*** **الثالث:** ما اختلفوا في جواز الوقف عليها؛ والأحسن المنع؛ لأنّ ما بعدها متّصل بها وبما قبلها، وهي خمسة مواضع: في البقرة ﴿بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ وفي الزمر ﴿قالوا بلى ولكن حقّت﴾ وفي الزخرف ﴿ونجواهم بلى ورسلنا﴾ وفي الحديد ﴿قالوا بلى﴾ وفي الملك ﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير﴾.

ونخلص من وراء هذه الشواهد ومن المحدّدات لعلماء اللغة في باب **(بلى)** إلى ما يلي:

1. **بلى** قد يوقف عليها؛ لأنّها جواب توكيد، فلا تحتاج إلى متمّم.

2 ـ لا يوقف عليها؛ لأنّ ما قبلها بحاجة إليها وإلى ما بعدها.

3 ـ هناك أشياء خلافية، كان الأفضل منع الوقف عليها.

وإذا تصفّحنا الآيات الحاملة لكلمة بلى، نجد فيها **(بلى)** متنوّعة المعاني، ولها مواقع متفرّقة، وهذا سرد وشرح لها من خلال الآيات التالية المعتمدة عشوائياً:

- ﴿**بلى من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ البقرة 81. يقول الزمخشري بأنّ **(بلى)** إثبات لما بعد حرف النفي، وهو قوله ﴿**لن تمسّنا النار**﴾ أي **بلى** تمسّكم بدليل قوله ﴿**وهم فيها خالدون**﴾. ويقول أبو جعفر الطبري: وأما **(بلى)** فإنّها إقرار في كلّ كلام في أولّه جحد، كما نعم إقرار في الاستفهام الذي لا جحد فيه.

- ﴿**بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ البقرة 112. إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنّة، كما يجوز أن يكون **(بلى)** رداً لقولهم، ثمّ يقع (من أسلم) كلاماً مبتدأ، ويكون مّن متضمّناً معنى الشرط وجوابه، فله أجره، وأن يكون مَنْ (مَنْ أسلم) فاعلاً لفعل محذوف؛ أي **بلى** يدخلها مَنْ أسلم، ويكون قوله (فله أجره) كلاماً معطوفاً.

- ﴿وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تُحيي الموتى قال أوَ لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصُرهنّ إليك ثمّ اجعل على كلّ جبل منهن جزءاً ثمّ ادعُهنّ يأتينك سعياً واعلم أنّ الله عزيز حكيم﴾ البقرة 260. هنا **(بلى)** إيجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت (ولكن ليطمئنّ قلبي) وليزيد سكوناً وطمأنينة.

- ﴿بلى من أوفى بعهده واتّقى فإنّ الله يحبّ المتّقين﴾ آل عمران 76. تفيد **(بلى)** إثبات لما نفوه من السبيل عليهم؛ أي **بلى** عليهم سبيل فيهم.

- ﴿بلى إنْ تصبروا وتتّقوا يأتوكم من فورهم هذا يُمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين﴾ آل عمران 125. نجد **(بلى)** إيجاباً لما بعد لن بمعنى يكفيهم الإمداد بهم فأوجب الكفاية، ثمّ قال (وإن تصبروا وتتّقوا) يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسوّمين للقتال.

- ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على ربّهم قال أليس هذا بالحقّ قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرونَ﴾ الأنعام 30. إنّ الجملة التي سبقت **(بلى)** (أليس هذا بالحقّ) تعبير من الله تعالى لهم على التكذيب فقد أجابوا بالتصديق.

- ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى شهدنا أنْ تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾ الأعراف 172. ويقول

الزمخشري قوله (ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا) من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنّه نصب لهم الأدلّة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميّزة بين الضلالة والهدى، فكأنّه أشهدهم على أنفسهم وقرّرهم وقال لهم ألست بربّكم، وكأنّهم قالوا بلى أنت ربّنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك، ولو قالوا: نعم لكفروا إذ يكون المعنى: نعم لستَ ربّنا!! لأنّ (نعم) في هذا الموقع يحمل نفياً أوضح من أن يكتم، وأقوى من أن يهمل.

- ﴿ **الذين تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلّم ما كنّا نعمل من سوء بلى إنّ الله عليم بما كنتم تعملون** ﴾ النحل 28. تدخل هذه الآية في باب الشماتة؛ لأنّه جحدوا ما وجدوا عليه من الكفر والعدوان.

- ﴿ **وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ النحل 38. نجد **(بلى)** إثباتاً لما بعد النفي؛ أي بلى يبعثهم ووعد الله مصر ومؤكّد لما دلّ عليه (بلى) لأن يبعث موعد من الله، وبيّن أنّ الوفاء بهذا الموعد حقّ واجب عليه في الحكمة.

- ﴿ **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينّكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين** ﴾ سبأ 3. نجد **(بلى)** تفيد معنى الإيجاب المؤكّد بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهذا

جواب لإنكار نفي البعث ومجيء الساعة، أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية.

- ﴿أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر عن أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاّق العليم﴾ يس 81. نجد (بلى) تأكيداً لحقيقة الخلق والربوبية لله وحده؛ حيث إنّ خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

- ﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ الزمر 59. تفيد **(بلى)** الوعيد حيث توحي للعبد بأنّه قد هُديَ بالوحي فكذب به واستكبر عن قبوله، وآثر الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى.

- ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زُمراً حتى إذا جاؤوها فُتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتيكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين﴾ الزمر 71. نجد **(بلى)** تفيد تأكيد النفي، فوجبت على الكافرين كلمة العذاب.

- ﴿قالوا أوَ لم تك تأتيكم رسُلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دُعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ غافر 50. سبقت **(بلى)** بـ (أو لم تأتيكم رسلكم بالبيّنات) والتي هي إلزام للحجّة وتوبيخ، فكلمة (بلى) تأكيد لتكذيب بيّنات الرسول.

- ﴿أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسُلنا لديهم

يكتبونَ ﴾ الزخرف 80. إنّ الله يسمع السرّ والنجوى؛ وهو ما يكلّم به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال، بلى يسمعها الله ويطّلع على رسله (يريد الحفظة).

- ﴿ أم لم يروا أنّ الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعيَ بخلقهنّ بقادر على أنْ يحييَ الموتى بلى إنّه على كلّ شيء قدير ﴾ الأحقاف 33. إنّ النفي في أول الآية جذب اهتمام للقدرة الإلهية التي لم تعجزها خلق السماوات والأرض، وهي أعظم من إحياء الموتى، فجاءت كلمة **(بلى)** لتوكيد هذه القدرة، وهي في مرحلة الإيجاب.

- ﴿ ويوم يُعرضُ الذين كفروا على النار أليس هذا بالحقّ قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرونَ ﴾ الأحقاف 34. تأتي هذه الآية توكيداً للآية السابقة، بأنّ القدرة الإلهية عظيمة، والمستهزئ بها كفيل بنيل العذاب.

- ﴿ يناديهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنّكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأمانيّ حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور ﴾ الحديد 14. جاءت كلمة **(بلى)** جواباً لسؤال إنكاري (ألم) فهي تفيد التوكيد والإثبات.

- ﴿ زعم الذين كفروا أنْ لن يبعثوا قل بلى وربي لتُبعثنّ ثمّ لتنبّؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ التغابن 7. نجد **(بلى)** إثباتاً لما بعد لن وهو البعث (وذلك على الله يسير) أي لا يصرفه عنه صارف.

- ﴿ تكاد تميّز من الغيظ كلّما ألقيَ فيها فوج سألهم خزنتها

ألم يأتكم نذير﴾ ﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إنْ أنتم إلا في ضلال كبير﴾ الملك 8-9. في الآية الثامنة (ألم يأتكم نذير) توبيخ ظاهر، فجاءت الآية التاسعة (قالوا بلى) تؤكّد اعترافهم بعدل الله وإقراراً بأنّ الله عزّ وجلّ أزاح عللهم ببعثة الرسل، وإنذارهم ما وقعوا فيه وأنّهم لم يؤتوا من قدره.

- **﴿بلى قادرين على أنْ نسويَ بنانه﴾** القيامة 4. نجد (بلى) أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكأنّه قيل: بلى نجمعها.

- **﴿بلى إنّ ربّه كانَ به بصيراً﴾** الانشقاق 15. **(بلى)** إيجاب لما بعد النفي في لن يحُور، أي بلى ليحُورنّ.

ونستخلص ما يلي:

* أولاً: جاءت كلمة **(بلى)** في عمومها حرف جواب يفيد التوكيد والإثبات. ودلالتها في القرآن الكريم تمتاز بالدقّة والإحاطة والشمول.

* **ثانياً : (بلى)** حرف ردّ للنفي الذي قبله، وهذا النفي قد يكون صريحاً وقد يكون مفهوماً من السياق، فمن النفي الصريح قوله تعالى: **﴿زعم الذين كفروا أنْ لن يبعثوا قل بلى وربي ليبعثنّ ثمّ لتنبؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير﴾** التغابن 7. والنفي المفهوم من السياق قوله تعالى **﴿أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّة فأكونَ من المحسنين﴾ ﴿بلى قد جاءتكَ آياتي فكذبتَ بها واستكبرتَ وكنتَ من الكافرين﴾** الزمر 58-59.

* **ثالثاً:** بعض **(بلى)** لا يمكن الوصول إلى دلالتها العامة إلا بعد ربطها بالسياق العام الذي تفيده الآية على اعتبار أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً[24] وأنّ الوصول إلى متقدّم أو متأخّر ليس في متناول كلّ الناس. كما أن بلى أحياناً يوقف عليها، وأحياناً لا يوقف عليها؛ حيث إنّ ما قبلها مرتبط بها وبما بعدها.

* **رابعاً:** بعض **(بلى)** لم تسبق باستفهام إنكاري واضح مثل: ألم / أليس.

* **خامساً:** لاحظنا في الآيات احتياج متقدّم بلى إليها، كما لاحظنا الوقوف عليها، ولاحظنا عدم الوقوف.

* **سادساً:** هناك استفهام إنكاري في بعض الآيات، وما وجدنا جواباً بكلمة (بلى). وهذا ما يظهر من خلال شواهد **(أليس)** وهي في صورة استفهام:

ـ ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على ربّهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ الأنعام 30. نجد قوله تعالى (أليس هذا بالحقّ) تعبيراً من الله تعالى لهم على التكذيب فجاء الجواب يؤكّد هذا التكذيب؛ الذي هو باطل.

ـ ﴿وكذلك فتنّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلمَ بالشاكرين﴾ الأنعام 53. نجد السؤال

24 ـ لمزيد من التوضيح، يمكن العودة إلى: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: 1957, دار إحياء التراث، الجزء الثالث، ص 175, وما بعدها.

(أليس) يفيد التنكير، الذي يحمل العلم بالشيء، ولكن غاب الجواب ببلى.

ـ ﴿ وجاءه قومه يُهرعونَ إليه ومن قبل كانوا يعملونَ السيئاتِ قالَ يا قومي هؤلاءِ بناتي هنّ أطهرُ لكم فاتّقوا اللهَ ولا تُخزوني في ضيفي أليسَ منكم رجلٌ رشيدٌ ﴾ هود 78. غاب الجواب ببلى.

ـ ﴿ ومن أظلمُ ممّن افترى على اللهِ كذباً أو كذّبَ بالحقِّ لمّا جاءه أليسَ في جهنّمَ مثوىً للكافرين ﴾ العنكبوت 68. لا نجد الجواب ببلى.

ـ ﴿ فمن أظلمُ ممّن كذبَ على اللهِ وكذّبَ بالصدقِ إذ جاءه أليسَ في جهنمَ مثوىً للكافرين ﴾ الزمر 32. لا نجد الجواب ببلى.

ـ ﴿ أليسَ اللهُ بكافٍ عبدَه ويخوّفونكَ بالذين من دونه ومن يضلل اللهُ فما له من هادٍ ﴾ الزمر 36. لا نجد الجواب ببلى.

ـ ﴿ ونادى فرعونُ في قومه قالَ يا قومِ أليسَ لي مُلكُ مصرَ وهذه الأنهارُ تجري من تحتي أفلا تبصرونَ ﴾ الزخرف 51. لا نجد الجواب ببلى.

ـ ﴿ ويومَ يُعرضُ الذين كفروا على النارِ أليسَ هذا بالحقِّ قالوا بلى وربّنا قالَ فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرونَ ﴾ الأحقاف 34. لا نجد الجواب ببلى.

ـ ﴿ أليسَ ذلكَ بقادرٍ على أنْ يحييَ الموتى ﴾ القيامة 40. لا نجد الجواب ببلى.

ـ ﴿ أليسَ اللهُ بأحكمِ الحاكمين ﴾ التين 8. لا نجد الجواب ببلى.

وبعد هذا نخلص إلى أنّ :

- **بلى** بعد استفهام إنكاري مسبوق بـ (أليس) قد يأتي جوابها، وهو قليل، وغالبه لا يأتي. وبذا تخرج دلالة **(بلى)** من صيغة الجواب إلى دلالات أخرى، فقد تفيد التعجّب / التحذير / الترغيب...

- **بلى** لها مواضع الوقف عليها؛ باعتبارها جواباً لما قبلها غير متعلّق بما بعدها.

- **بلى** لها مواضع لا يجوز الوقف عليها، لتعلّق ما بعدها بها وبما قبلها.

- **بلى** وقع الخلاف في جواز الوقف عليها، والأحسن المنع.

وأما في الشواهد الشعرية، ومن خلال المدوّنة المعتمدة، وجدنا ذكر (بلى) قليلا جداً جداً، سواء وهي في دلالتها اللغوية الموجبة للنفي، أو هي خارجة إلى معانٍ أخرى، وتأمّل معي هذه المدوّنة:

- بلى سوف نبكيهم بكلّ مهنّدٍ ونبكي عُميراً بالرّماح الخواطر. الأخطل.

- ألا زعمت أسماء أن لا أحبها فقلت: بلى لولا ينازعني شغلي. أبو ذؤيب الهذلي.

- إذا متُّ كان الناس نصفان: شامت وآخر مثنٍ بالذي كنت أصنع

بلى سوف تبكيني خصوم ومجلس وشُعثٌ أهينوا حضرة الدار جوّع[25]. العجيري السلوي.

- شهدتُ بأنّي لم تُغيّر مودّتي وإنّي بكم حتى الممات ضنين

وأنّ فؤادي لا يلين إلى هوى سواك وإن قالوا: بلى سيلين. جميل بثينة.

ونخلص بأنّ ورود **(بلى)** محتشم في الشعر القديم، وهي في صورة

---

25 ـ محمد يوسف أبي سعيد السيرافي، شرح أبيات سيبويه، تحقيق وتقديم: محمد علي السلطاني. دمشق: 1979, دار المأمون للتراث، ج2, ص 155.

الاستفهام الإنكاري، ويعني هذا أنّ العرب لم تألف نظم كلامها على هذا المنوال، وإلا فلا يعقل أن يأتي هذا العدد القليل من الشواهد.

وأما ورود **(بلى)** بعد **أليس** / ألم اللتين تفيدان الاستفهام الإنكاري، فإنّنا لم نجد شاهداً يحمل **(بلى)** جواباً عن استفهام إنكاري، وهذه هي الشواهد التي وجدتها في المصدرين * :

- **ألسنا** أحقّ الناس يوم تقاسوا إلى المجد والمستأثرات الجسائم.

ألم تريا ني لكما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيّب.. امرؤ القيس.

- **ألم** تر أنّ الله أعطاك سورة ترى كلّ مَلكٍ حولها يتذبذبُ

فإنّك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدِ منهم كوكبُ. النابغة الذبياني.

- **ألم** تعلمي أنّي رزئتُ محارباً فمالك منه اليوم شيء ولا ليَا. النابغة الجعدي.

- **ألم** أكُ جاركم ويكون بيني وبينكم المودّة والإخاء. الحطيئة.

- **ألم** تر أنّ الله أهلك تبّعاً وأهلك لقمان بن عاد وعادينا زهير بن أبي سلمى

- **ألم** تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبتّ كما بات السليم مسهدا. الأعشى ميمون.

- **أليس** أميري في الأمور بأنتما بما لستما أهل الخيانة والقدر.

- **ألم** ترَ أنّ كليبَ بني كليبٍ أراد حياضَ دجلة ثمّ هابا. جرير.

- **ألستِ** أحسن من يمشي على قدم يا أملحَ الناس لكلّ الناس إنسانا. جرير.

- **ألستم** خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راحِ. جرير.

- **أليس** يضير العينَ أن يكثر البكا ويمنع منها نومُها وسرورها

لكلّ لقاء تلتقيه بشاشة وإن كان حولاً كلّ يوم نزوها. توبة بن الحميّر.

---

* أقصد المصدرين المعتمدين مدوّنة لهذا العمل.

- **ألم** تـــربـــــع فتخبرك الرســومُ علـــــى فِرساجَ والعهـــد القديم

- تحمّل أهلـــــه وجـــــرت عليـــه رياحُ الصيف والسّبط المديم. البرج بن مسهر.

- **ألم** ترَ أنّني وتـــــرّت قـوســـــي أبقع مـــــن كـــــلاب بني تميـــم

عـــــوى فـــرميته بسهام مـــــوتٍ كذاك تـــــردّدُ الحمـــق اللئيم

وكنـــت إذا غـــمـــــــزت قناة قوم كسـّرت كعوبهـــا أو تستقيم[26] .

- **ألم** تسمعي أيّ عبد في رونق الضحى بكـــاء حمـامات لهنّ هـديـــر

بكين فهيّجن اشتياقي ولـــوعـتـــي وقد مرّ من عهد اللقاء دُهـــور. كثير عزّة.

- **أليس** أبي بالنّضر أم ليـــس والدي لكلّ نجيب مـن خزاعة أزهـرا. كثير عزّة.

- **ألـــم** يأتك والأنبـــاء تنمـــى بـمـا لاقـت لبـــون بنـي زيـاد

ومحبسها على القرشـــي تُسـرى بـــأدراع وأسـيـــاف حـــــِداد

كما لاقيت مـن حمـل بـن بـــدر وإخوته عـلـى ذات الإضـادِ. قيس بز زهير العباسي.

- **ألـــم** تسألِ الربع القـواء فينطـــق وهـــل تُخبرك اليوم بـــيـداء سَمَلَق

- **ألـــم** تـــرَ بالجـــزع من ملكـات وكـم بالصعيـد من هِجـان مؤبـّلة

ولـــم أرَ مثلها خُباسـة واحـــدٍ ونهنهتُ نفسي بعد ما كدت أحقله. عامر بن جوين الطائي

- **ألم** أفنكم قتلاً وأجدع أنوفكم بفتيان قيس والأنوف الصوارم. الحجّاف بن حكيم السّلمي.

ويروى هذا البيت بصورة أخرى، وهي:

- **أليس** أبي بالصّلت أم ليس إخوتي لكـلّ هجان من بنـي النّضر أزهـــرا.

- **أليس** الله يعـلـــم أنّ قـلبـــي يحبّـك أيّـها البرق اليمانـي. جحدر بن مالك.

---

26 ـ البيت لزياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء. ورد في: شواهد المغني للسيوطي، تصحيح وتعليق: الشيخ محمد محمود ابن التلاميذ التركزي الشنقيطي. بيروت: دت، منشورات دار مكتبة الحياة، ج1, ص 205.

- **ألم** ترَ أنّي بعـد عمرو ومالك وعروة وابن الهول لستُ بخالدِ. حريث بن مخفض.
- **ألم** تعلمـي أم قد تفـرّق قبلنـا خليلا صفاء: مالـك وعقيلُ. أبو خراش.
- **ألم** تعلمـي يـا ميّ أنّي وبيننـا مهـا ولِطرف العيـن فيهنّ مطـرحُ
- **ذكرتـك** أنّ مرّت بنـا أم شـادن أمام المـطايـا تشرئبّ وتسنحُ. ذو الرمة.
- **ألم** ترَني مـن حـبّ آل محمد أروح وأغـدوا خـائـفـاً أترقّبُ

فطائـفـة أكـفـرتني بحبّـهم وطائفة قالت: مسـيءٌ ومذنبُ. الكميت.

- **ألـم** يـكُ حقاً أن ينلّ عاشـق تكلّف إدلاج السّرى والـودائـق.
- **ألم** تعلموا أنّي تُخـاف عزائمـي وأنّ قناتي لا تلين على القسر. ابن الذئبة الثقفي.
- **ألـم** ترَ أنّـي يـوم جوّ سويقة بكيت فنادتني هنيدة مـا ليَا. الفرزدق.
- **ألسـت** نـزوة خوّار على أمـة لا يسبق الحلبات اللؤم والخور. عمر بن لجأ.
- **ألم** تعلمـي يا عمرك الله أنّنـي كريم على حين الكرام قليل. موبال بن جهم المدحجي
- **ألسـت** حقيقـيـاً بتـوديـعـه واتّباع ذلك صرماً طويلاً؟ أبو الأسود الدؤلي.
- **ألم** ترَني بعتُ الضلالـة بالهدى وأصبحتُ في جيش ابن غطفان غازياً. مالك بن الريب
- **ألم** يشفيك أنّ نـومـي مُسـهـد وشوقي إلى ما يعتريني وتسهالي. يزيد بن الحكم
- **يختلـف** الأرواح بيـن سـويـقـة وأحدب كادت بعد عهدك تُخلق. جميل بثينة.

وما يمكن استخلاصه من كلّ هذا:

أولا: إنّ ورود أسلوب الاستفهام بصيغة الحروف كثير، وبصيغة الأسماء قليل..

ثانياً: لكلّ حرف من حرفي الاستفهام مواقع يختصّ بها، ومع ذلك فـ (الهمزة) أعمّ من (هل).

ثالثاً: بالنسبة لحرف الجواب **(بلى)** ورد بكثرة في القرآن الكريم، كما ورد في الحديث النبوي أكثر بكثير من القرآن الكريم، ولم ترد بذات الكثرة في الشواهد الشعرية.

رابعاً: جواب الاستفهام الإنكاري يأتي بـ **(بلى)** بالإيجاب، وبـ (نعم) للنفي.

خامساً: تأتي **بلى** جواباً لما قبلها، غير متعلّقة بما بعدها، وأحياناً لا يجوز الوقف عليها لتعلّق بها وبما قبلها وهناك خلاف في جواز الوقف، والأفضل منه المنع. أي أنّ أمر توظيف بلى فيه خصوصيات يراعيها السياق الكلامي الذي يفيده، فليس كلّ سياق يفيد الاستفهام الإنكاري.

سادساً: تستعمل في اللغة اليومية، عند العامة، وأحياناً عند الخاصة في الجواب عن **(هل)** التعيين، بدل التصوّر، كما توظّف **(نعم)** وتؤدّي مقام **(بلى)**. وبما أنّ اللغة وضع واستعمال، فإنّ الاستعمال يريد في هذا الموضع قلّب الموازين، ولا يفرّق بالدقّة بكل ضبط بين كلّ أداة من هذه الأدوات. وهنا تطرح علينا قضية طريفة: هي هل يمكن جعل **(هل)** تفيد التعيين والتصوّر مثل **(الهمزة)** كما أنّ **(بلى)** لاحظناها في اللغة المعاصرة لا تستعمل بذات الدقّة التي وردت في التراث، أضف إلى قلّة توظيفها، فماذا يقول المختصون إزاء توظيف جوابها، والعودة إلى الجواب المألوف: نعم/ لا؛ أي هل يمكن أن تحلّ **(نعم)** محلّ **(بلى)** في الاستفهام الإنكاري في الأساليب المعاصرة؟

سابعاً: إنّ لغة الصحافة ــ على وجه الخصوص ــ تجسّد التخليط

وعدم الدقّة، وتقبل استعمال **(نعم)** في مقام (بلى) وذات الشيء نجده في التمثيليات التي تعمل الفضائيات العربية على إدخالها في لغة المواطن.

أطرح هذه المسألة على المختصين، وأعرف أنّ المسألة لها جانب من الحساسية، ولكن ألا يمكن القبول بالتعيين حالة السؤال بـ **(هل)** وجعله مثل **(الهمزة)** على اعتبار أنّ هذه الفروق لا يدركها إلى خاصة الخاصة. وكذلك ألا يمكن اعتبار (بلى) التي وردت في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة من الشواهد الصحيحة الدالة على المعنى الذي نصّت عليه. وتدخل في الجانب التاريخي، وهذا ينطبق على الشواهد الشعرية وهي قليلة. وأما بالنسبة للغة العصر، هل يبيح المجمعيون أن يجيب مجيب عن سؤال إنكاري بـ **(نعم)** بدل **(بلى)** ولا يعتبر ذلك خطأً، ويبقى النفي بأداة **(لا)** وهي لذلك الغرض الذي وُضعت له.

أطرح ثانية هذه المسألة للمختصّين للإفتاء اللغوي في ما نسمعه بقوّة عند العامة، وهذا يخرج عن العرف اللغوي أو عن النّمط المألوف، ويبدو لي أنّ هذا شيئاً يطرأ على اللغات التي تعرف التطوّر في قضاياها الداخلية، فحقّ للغة العربية أن تقبل هذا التطوّر ما لم يمسّ النّص الأصلي، ونجده في هذا المقام قد مُسّ الأصل، فماذا يقول المختصون؟ هل يحقّ للغة أن تقبل التطوّر الحادث في كلّ اللغات، وهي لغة من اللغات وليست نكرة بينها، فالأحرى أنّ تقبل التطوّر بغية التحسين ومجارة لغة الاستعمال، وهذا كي لا تبقى الفجوة قائمة بين القوانين اللغوية واللغة

الوظيفية، أو بين المكتوب والمنطوق، وهنا تطرح مسألة وضع القوانين التي لا يجاريها الاستعمال، فهل نجبر المستعمل على اتّباعها، ولو كره ذلك! علماً أنّ اللغات اجتماعية، لا تفرض من مختصّ، فالمستعمل (المجتمع) هو الذي يصطلح عليها، يضيف وينقص ويحدث التغيير الذي يراه. أم نبقى نخضع للنّحاة الذين يفرضون: قل ولا تقل! دون مراعاة حركية اللغة، وتأكيداً على هذا، فإنّني أجريت عدة تجارب بسيطة على طلابي، فأسألهم متعمّداً الخطأ: هل درستم البارحة المنهجية أو/ أم المصطلح؟ فيجيبون بالتعيين: المنهجية/ المصطلح. وأكرّر الخطأ دون أن يعوا ذلك. وكثيراً ما يأتي منهم الخطأ دون وعي منهم بأنّهم على خطأ، فيسألون: هل تحضر صباحاً أو/ أم مساءً؟

كما نلمس عدم استعمال **(بلى)** عند الخاصة، ولا يسمع الجواب عن الاستفهام الإنكاري إلا عند بعض أئمة المساجد؛ وهذا أثناء شرحهم للآيات الحاملة للاستفهام الإنكاري، إلا أنّ الإمام عندما يستعمل **(بلى)** يردفها بالشرح، فيقول: **(بلى)** بمعنى **(نعم)** أي يعود إلى توظيف **(نعم)** التي هي للنفي بدل الإيجاب، دون أن يدرك أن ذلك خطأً.

وتأكيداً لهذا نرى أنّ اللغة العربية في واقعنا الحالي، وفي محيطنا الاجتماعي تعيش وضعاً متدنياً خطيراً ويتجلّى هذا في استعمال العامية أو اللغات الأجنبية في القنوات، وفي معظم البرامج التي تعرض فيها، كما يتمثّل هذا التدنّي في سوء لغة الكتب المدرسية، وفي الخلل في مناهج اللغة العربية، وفي عدم قدرة كثير من المدرّسين على إلقاء دروسهم

بالفصحى... فهنا كان لابدّ من البحث عن سبل الارتقاء بمستوى اللغة العربية في المجتمع، وبذلك يمكن الوصول للتفريق بين تلك المواطن الدقيقة التي يجاب بها عن التصوّر بـ **(هل)** وعن التصوّر والتعيين بـ (الهمزة) كما نفرّق بين متى نستعمل **(بلى)** ومتى نستعمل **(نعم)** ويجب أن نقرّ بأنّه عرض للعربية في الوقت المعاصر تطوّر كبير وخطير، حيث لم تعرف في تاريخها الطويل عصراً خطا بمادتها: أصواتاً ومفردات وتراكيب نحو التطوّر خطوات واسعة مثل هذا العصر[27] فهذه المظاهر تستدعي البحث عن صيغ جديدة لقبول الفصحى المعاصرة، أو الفصحى المخفّفة كما يسميها البعض؛ لأنّه لا تستطيع قواعد النّحو أن توقف حركة اللغة، التي لم تسلم منها الأصوات ولا التراكيب ولا الدلالة، ومن هنا فإنّه ستطرح بعض الفجوات في قضايا ضيّقة في ما تديره اللغة المعاصرة من عبارات أو أساليب قد تخدش الجانب النّحوي فنسمع من يقبل بهذا ما لم يمسّ الأصل، ونجد من يكفّر بكل مساس يطرأ على اللغة العربية ولو من بعيد ولكن هناك صرخات كثيرة تقول: أنقذوا العربية من النّحويين، وينادون: إلى متى نبقى نردّد: هذا لم يَقُل به الأولون! وإلى متى نضع الطابوهات أمام الاجتهاد، وخاصة إذا وُجد هناك ما له علاقة بالتراث وعلى وجه الخصوص ما اتّصل بالقرآن الكريم!

يبدو لي أنّ المشكلة إذا عولجت علاجاً علمياً يمكن الخروج بنتيجة منطقية يقبلها المستعمل المعاصر وخاصة عندما نعلم أنّ هذه القضايا قليلة

27 ـ نعمة رحمة العزاوي، مظاهر التطوّر في اللغة العربية المعاصرة. بغداد: 1990, وزارة الثقافة والإعلام، ص 5.

جداً، فيمكن السيطرة عليها، ولكن ما كان يجب أن نضع مسألة القرآن عائقاً أمام قبول لغة العصر، على اعتبار أنّ ذلك يخلّ بالنظام اللغوي الذي أُرْسِيَ منذ عصر التقعيد. إنّ القرآن مقدّس في قلوبنا وفي تعاملنا معه، ولكن يجب التفريق بين التقديس الأعمى، وبين حبّ التطوّر الذي يعمل على تثبيت التقديس العلمي والمعقول، علماً أنّ التطوّر لا يعمل على التحريف؛ والتطوّر المقصود هو الإضافة لما قاله السلف، ولا يعني الإلغاء. وهنا كان يجب التأكيد على مسألة إعمال العقل في النقل، والتفريق بين ما هو ثابت لا يقبل التعديل، وما هو متحوّل يقبل التعديل، شرط ألاّ يخلّ بالنظام اللغوي الذي ترفضه الجماعة اللغوية المستعملة لهذه اللغة.

إنّنا في أمس الحاجة إلى فعل حضاري لهذه اللغة التي يهجرها أبناؤها، وبحاجة إلى السماع للمستعمل المثالي الذي يريد لغة تعبّر عن واقعه، عن مشاغله، عن يومياته، ألا يمكن للمجمعيين البحث عن صيغة توافقية للغة مشتركة تُرقي من لغة الدهماء، وتُنزل من لغة التقعّر إلى لغة وسطى، وتجمع بين الربط التاريخي ومعطيات العصر؟!

ذلكم انشغالي من أسلوب الاستفهام؛ ومن خلال حرف الاستفهام **(هل)** حيث لا تراعى في توظيفها الدقائق اللغوية التي تنصّ عليها كتب النّحو في صيغة الجواب سواء بالتعيين أو التصديق (التصوّر) وتتداخل مع عمل حرف الاستفهام **(الهمزة)** وكذا من أداة الجواب **(بلى)** حيث تحلّ فيه العامة **(نعم)** محلّه بقوة، فأضحت القضية مسألة لغوية تحتاج إلى

فتوى لغوية معاصرة تأتي من مختصّين. وإذا وقع تركيزي على أسلوب الاستفهام فيمكن أن نجد بعض الفجوات أو الأمور التي تحتاج في هذا الوقت إلى مراجعة، وهذا بغية التصحيح والنظر إلى وظيفية اللغة العربية، وطبيعة التطوّر الذي يوجد في آلياتها الداخلية. ومن هنا فإنّ الحديث في بعض الأصول لا يعني التطاول على شيوخنا، بل لنعلم أنّ اللغة ما وجدت لكي تبقى في نقطة واحدة، على اعتبار أنّ ذلك يقضي عليها، فلا ينميها، ولا يعطي لها صفة معايشة أوضاع العصر، وكلّ هذا سيؤدّي إلى توقيف مسار التقدّم اللغوي (النّحوي) ولا شكّ أنّ ذلك بدوره يؤدّي إلى التحريف اللغوي، ونرجو أن نجد الفتوى اللغوية الواضحة والمعاصرة * لإزالة كلّ لبس.

* ـ أقصد بصيغة المعاصرة أن تكون هؤلاء أبحاث في **علم الاجتماع اللغوي**، للنظر في ما يسنّ من قوانين، وما يسمع على أفواه المستعلمين المثاليين لهذه اللغة، وبذلك يمكن أن **تحصل فتوى لغوية معاصرة**، ولا يعني هذا إلغاء القديم، أو التخلّي عن القوانين النّحوية، أو هجران اللغة العربية، بل البحث عن كيفية التعامل مع هذا التعاكس الذي نسمعه في أسلوب الاستفهام.